ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

The Impact of Reference on Textual Cohesion-an Applied Study on Selected Articles from Taha Hussein's "Bayn Bayn"

Master. *Noura Mohammed Ali Elshafie*
Department of Arabic language, Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University, Egypt
noura.elshafae@alsun.asu.edu.eg
Prof. Eman El-Said Galal
Department of Arabic language, Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University, Egypt
imansaidgalal@hotmail.com
Prof. Hoda Abd elGhany Baz
Department of Arabic language, Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University, Egypt
hagiobaz@alsun.asu.edu.eg

Receive Date: 22 August 2024, Revise Date: 13 September 2024.
Accept Date: 14 September 2024.
DOI: 10.21608/buhuth.2024.314536.1743
Volume 5 Issue 5 (2025) Pp.264 -282.

Abstract

Reference is pivotal for ensuring textual cohesion, as texts heavily rely on it to maintain cohesion. It serves as a bridge between textual segments, linking the preceding to the subsequent, and vice versa. Reference extends beyond the text itself, connecting it to the external world through various means, such as pronouns, demonstrative pronouns, relative pronouns, and comparative constructions. This interconnectedness contributes significantly to the semantic richness of the text. This study explores the definition of reference among Westerners and Arabs, delineating its various types, including textual reference and situational reference, with textual reference further subdivided into anaphoric (backward) and cataphoric (forward) reference. It also examines the various linguistic techniques employed to achieve reference, such as pronouns, demonstrative pronouns, relative pronouns, and comparative constructions. Furthermore, it analyzes how these techniques contribute to the cohesion of selected articles from Taha Hussein's Bayn Bayn [In Between], facilitating textual continuity, preventing redundant repetition, and fostering a concise and elegant style. The effective use of reference techniques was found to significantly enhance the cohesion, stylistic beauty, and clarity of meaning within the analyzed texts.

***Keywords*:** Textual Reference, Situational Reference, Textual Cohesion, "Bayn Bayn" book, Taha Hussein.

أثر الإحالة في التماسك النصي – دراسة تطبيقية على نماذج مختارة من مقالات كتاب "بين بين" لطه حسين

نورا محمد علي الشافعي
باحث ماجيستير-قسم اللغة العربية
كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر
noura.elshafae@alsun.asu.edu.eg

أ.د إيمان السعيد جلال
كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر
imansaidgalal@hotmail.com

أ.د هدى عبد الغني باز
كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر
hagiobaz@alsun.asu.edu.eg

المستخلص:

تعد الإحالة من أهم الوسائل التي تهدف إلى الاتساق النصي؛ حيث تعتمد عليها النصوص اعتمادًا كبيرًا في تماسكها، فهي بدورها تمثل جسورًا ممتدة بين أجزاء النصوص، وذلك بربطها السابق باللاحق، واللاحق بالسابق، بل تتخطى ذلك فتربط النص بالعالم الخارجي، وذلك من خلال وسائلها المتعددة (الضمائر- أسماء الإشارة- الأسماء الموصولة- أدوات المقارنة)، فينتج عن ذلك نصوص ذات قيمة دلالية عالية، ومن ثم يعرض البحث تعريف الإحالة عند الغربيين والعرب، وأنواعها المختلفة؛ فمنها الإحالة النصية والإحالة المقامية، وتنقسم الإحالة النصية بدورها إلى إحالة قبلية وأخرى بعدية، كما يُبين البحث الوسائل والتقنيات المختلفة التي تتحقق بها الإحالة كالضمائر وأسماء الإشارة الأسماء الموصولة والإحالة بأدوات المقارنة، وكيف كان لها الأثر في ترابط نصوص المقالات المختارة من كتاب طه حسين "بين بين"، ودورها في تحقيق الاستمرارية في النص وتعليق الكلام بعضه ببعض، وذلك من خلال تجنب التكرار السلبي مما يجعل النص يميل إلى الخفة والاختصار غير المخل، فكان لاستخدامها الأثر الواضح في تماسك النص وجمال أسلوبه ووضوح معانيه.

الكلمات المفتاحية: الإحالة النصية، الإحالة المقامية، التماسك النصي، كتاب "بين بين"، طه حسين.

المقدمة:

إن التماسك النصي من أهم ما يشغل علماء اللغة النصيين، حيث يحتل موقعًا مركزيًا في أبحاثهم، وينقسم التماسك النصي إلى نوعين: التماسك النحوي الذي يرتكز على وسائل محددة لتحقيقه؛ وهي (الإحالة- الحذف- الاستبدال- الربط)، والنوع الثاني: التماسك المعجمي ووسائله (التكرار- المصاحبة اللغوية)، ولما كانت الإحالة من أبرز الوسائل التي يتحقق بها التماسك النحوي، فقد عمدت الدراسة إلى إلقاء الضوء على مفهومها وأنواعها وآلياتها داخل نصوص مقالات د. طه حسين في كتابه **"بين بين"**، ولقد اختارت الدراسة أربع مقالات من هذا الكتاب للدراسة والتحليل وهي: **"عيد- الضمائر القلقة- في الذوق- جوع وأحاديث"**، وقد وقع الاختيار على هذه المقالات الأربع مادة للدراسة؛ لما بينها من عامل مشترك فجميعها يدور حول المصريين وحياتهم أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتصوير البؤس الذي يخيم على المصريين حتى في أعيادهم، وأسباب القلق في الضمائر إلى القلق في الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها، وكيف تغير الذوق المصري بسبب التأثير الأمريكي والأوروبي. هذه المقالات الأربع تمثل صورة دقيقة وتفصيلية عن حياة المصريين في تلك الفترة ولذلك وقع الاختيار عليها للدراسة والتحليل، فالهدف هو دراسة الإحالة بوسائلها المختلفة، وبيان أثرها في ترابط نصوص تلك المقالات وتماسكها، وكيف أسهمت في إحداث الاستمرارية في المقالات شكليًا ودلاليًا متبعة في ذلك المنهج الوصفي.

وجاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصدر والمراجع، عرضت المقدمة موضوع الدراسة وأهميتها والهدف منها وأقسامها والدراسات السابقة، أما المبحث الأول، فعنوانه: مدخل نظري في المفاهيم الأساسية، ويتضمن: نبذة عن كتاب "بين بين"، وتأطير نظري للإحالة وما يتعلق بها من مفاهيم. والمبحث الثاني وعنوانه: الإحالة في مقالات طه حسين في كتاب "بين بين" فهو الجزء التطبيقي حيث تُدرس فيه الإحالة داخل المقالات المختارة، ويُبين الدور الذي تؤديه في ترابط النص وتماسكه.

ومن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع:

- الإحالة والتماسك النصي في رواية فوق الأحزان للدكتور حسن البنداري، صباح صابر، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، ع16، ج3، 2015.
- الإحالة الضميرية في القرآن الكريم: سورة (طه) نموذجًا، د. إبراهيم جميل محمد إبراهيم، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد 87 ، يناير، 2016.
- الإحالة بالضمائر في كتابي التربيع والتدوير للجاحظ وأخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي في لسانيات النص، عبد الله بن سعيد بن عامر الراشدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطة عمان، يناير، 2018.
- الإحالة النصية في قصيدة الشريف الرضي ت406هـ في رثاء والدته ت385هـ، رنا خليل علي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ع33، يناير، 2019.

المبحث الأول: مدخل نظري في المفاهيم الأساسية

أولًا: نبذة عن كتاب بين بين

يقدم الدكتور "طه حسين" في هذا الكتاب مجموعة من المقالات المجمعة، تنوعت موضوعاتها بين النقد الأدبي، واستعراض المناخ الثقافي المصري. وعرض لمشكلات بلاده الاجتماعية والسياسية التي زادت بدرجة كبيرة قبل ثورة يوليو وجعلته يصف الحياة في مصر في أولى مقالات الكتاب بأنها «حزينة». وقد ظهرت سخريته اللاذعة في انتقاده لكثير من الأوضاع التي لم تعجبه، معللًا آراءه بصراحة وموضوعية، وهو الأمر الذي كثيرًا ما جرَّ عليه المتاعب مع السلطة وأثار عليه القراء والنقاد ولكن طه حسين - كما أعلن أكثر من مرة - لم يكن يسعى لأن ينافق قارئه أو يخدعه، فيكتب له ما يسعده، بل كان باحثًا جادًا عن الحقيقة. معلنًا عنها واضحة جلية لا "بين بين"، ولقد صدر هذا الكتاب للمرة الأولى عام 1952م، وهو يضم ستة عشر مقالًا، ثم صدرت نسخة أخرى عن مؤسسة هنداوي عام 2014م، وهي النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة. (سكوت و جونز، 1982م، صفحة 89) (تقديم مؤسسة هنداوي للكتاب)

ثانيًا: الإحالة (مفهومها – أنواعها – عناصرها - وسائلها)

مفهوم الإحالة

تعددت التعريفات الاصطلاحية للإحالة؛ فمنها:

- تعريف "جون لوينز" (*John Lyons*) "بأنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات" (براون و يول، 1997م، صفحة 36)، ويقول محمد خطابي: إنها علاقة دلالية تخضع لقيد أساسي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه. (خطابي، 1999م، صفحة 17)
- و يعرفها "روبرت دي بوجراند" (*Robert De Beaugrande*): "بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات". (دي بوجراند، 1998م، صفحة 320)
- وعرفها "هاليداي ورقية حسن" *(Halliday &Ruqaiya Hasan)* بقولهما: إن "العناصر المحلية كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كل لغة عناصر تمتلك خاصية الإحالة". (خطابي، 1999م، صفحة 17)

أنواع الإحالة

تنقسم الإحالة إلى نوعين (Halliday & Hasan, 1976, p. 32):

الإحالة المقامية: وتسمى الإحالة الخارجية، حيث يحيل العنصر الإحالي إلى عنصر إشاري خارج حدود النص، كأن يحيل مثلًا ضمير المتكلم على ذات صاحبه المتكلم. (حسان، 2007م، صفحة 366)

الإحالة النصية: وهي إحالة داخلية، أي داخل النص، وتتفرع النصية إلى قبلية؛ أي إحالة إلى لفظ سبق ذكره، وإحالة بعدية: أي إحالة إلى لفظ سوف يستعمل لاحقًا في النص. (الزناد، 1993م، صفحة 119)

عناصر الإحالة:

تتمثل عناصر الإحالة فيما يلي (دي بوجراند، 1998م، صفحة 173)، (عفيفي، 2005م، صفحة 529، ج2) :

- كاتب النص أو المتكلم
- **العنصر الإحالي** : كالضمائر أو أسماء الإشارة وغير ذلك، وهو بذلك سيحولنا من اتجاه إلى آخر داخل النص أو خارجه.
- **المحال إليه أو العنصر الإشاري**: وهو العنصر الموجود داخل النص أو خارجه.
- **العلاقة بين المحيل والمحال إليه**: ويكون شرطها التطابق بين اللفظ المحيل والمحال إليه.

وتنقسم الإحالة باعتبار المدى الذي يفصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه إلى قسمين: (الزناد، 1993م، صفحة 120، 121)

- **إحالة ذات مدى قريب،** وتكون على مستوى الجملة الواحدة حيث تجمع بين العنصر الإحالي ومفسره.
- **إحالة ذات مدى بعيد،** وتكون بين الجمل المتصلة أو الجمل المتباعدة في فضاء النص.

وسائل الإحالة

هناك وسائل أربع للإحالة يُحقق من خلالها الاتساق النصي وهي:

- الإحالة الضميرية
- الإحالة الإشارية
- الإحالة باسم الموصول
- الإحالة القائمة على المقارنة

المبحث الثاني: الإحالة في مقالات طه حسين في كتاب "بين بين"

فيما يلي بيان لوسائل الإحالة الموظفة في مقالات كتاب "بين بين" للدكتور طه حسين، وتحليل للسياقات الواردة فيها للكشف عن دورها في تحقيق التماسك النصي لأجزاء الكتاب.

أولًا: الإحالة الضميرية

يعرف السكاكي (ت٦٢٦هـ) الضمير بأنه: "عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة على المتكلم أو على المخاطب، أو على غيرهما بعد سابق ذكره..." (السكاكي، 1987م، صفحة 66)

وهو "ما دل على متكلم نحو أنا ونحن، أو مخاطب نحو أنت وأنتما، أو غائب نحو هو هما" (ابن هشام، 2004م، صفحة 175)، وتعد الضمائر معارف "لأنك إنما تضمر اسمًا بعد ما تعلم أن مَنْ يحدِّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئًا يعلمه" (سيبويه، 1988م، صفحة 6، ج2)

يربط النحاة بين الضمائر ومفهوم الإبهام؛ بناء على حاجتها إلى ما يفسرها في أغلب الأمر، ففسروا صيرورة الضمائر معارف مع أنها مبهمات؛ حيث إن معناها يمكن فيما تحيل إليه؛ لأن الاسم لا يضمر إلا وقد علم السامع على من يعود، فلا يقال: رأيته ومررت به حتى يعرف من هو. (بحيري، 2005م، صفحة 112)

إن الضمائر من أكثر أدوات الربط الإحالية، فهي عنصر مهم جدًا لاتساق النصوص، فقد يحال بالضمائر إلى الأشخاص أو الأحداث، وقد يحال بها على فحوى كلام ورد سابقًا، أو لاحقًا، وقد يحال بها على مرجع مستنبط من السياق النصي، أو السياق الذهني. (يونس، 2013م، صفحة 61)

والإحالة الضميرية نوعان: ضمائر تحيل إلى خارج النص، إذ تندرج ضمنها جميع الضمائر الدالة على المتكلم (أنا- نحن) والمخاطب (أنتَ- أنتِ- أنتما- أنتم- أنتن)، وضمائر تحيل إلى داخل النص، وتندرج تحتها ضمائر الغيبة بجميع أنواعها (هو- هي- هما- هم- هنَّ) وهي مهمة أكثر من النوع الأول؛ حيث تسهم في تماسك النص واتساقه. (خطابي، 1999م، صفحة 18)

أما النوع الآخر من الضمائر فهو الضمائر المتصلة التي أطلق عليها "د. محمد خطابي" ضمائر الملكية، وهي ثلاثة أقسام (خطابي، 1999م، صفحة 18):

أ- ما اتصل منها بالفعل مثل: التاء ونا الفاعلين في (شاهدت- شاهدنا).
ب- ما اتصل منها بالحرف: مثل الكاف في (إنك- إنكما).
ت- ما اتصل منها بالاسم مثل الهاء في: (مدرسته- مدرستهم).

هذه هي الضمائر الظاهرة، أما الضمير المستتر: فهو ضمير اتصل بالفعل دون أن يظهر في اللفظ.

وتبرز الإحالة الضميرية في العديد من المواضع في مقالات طه حسين في كتاب "بين بين" ومن ذلك:

مثال١:

ما ورد في مقال **"عيد"** حيث يتحدث فيه الكاتب عن الأعياد التي استقبلها المصريون فيقول:

"وقد أرادت دورة الفلك أن يستقبل **المصريون** اليوم عيدين في نهار واحد **عيد** قديم بَعُدَ به العهد **وهو** عيد وفاء النيل **وعيد** حديث قرب به العهد **وهو** عيد الاستقلال. ففي مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٦ أمضى **المصريون** – **وكانوا** يومئذٍ مجتمعي الكلمة موحدي الرأي - هذه المعاهدة التي تنظم الأمر **بيننا** وبين **حلفائنا** الإنجليز، ثم **عادوا فقرروا** أن هذا اليوم سيصبح عيدًا وطنيًا يذكر **فيه** المصريون خطوة خطيرة **خطوها** في سبيل الاستقلال، وما أظن **أنهم قرروا** أن يكون هذا اليوم عيدًا يطمئن المصريون **إليه ويقنعون** بما يصور من **ظفرهم** ببعض الحقوق، وإنما أعتقد **أنهم اتخذوه** عيدًا يثير في المصريين الأمل والشجاعة ومضاء العزم **يذكرهم** بأنهم **جاهدوا فظفروا** ببعض الحق فيجب **عليهم** أن **يجاهدوا ليظفروا** بالحق **كله** مهما يكن من شيء فالمصريون سعداء اليوم قد قرت **عيونهم**، وطابت **نفوسهم**، واطمأنت **قلوبهم**؛ لأن النيل قد وفي **لهم** بما **عاهدهم** على أن **يمدهم به** في كل عام من الري والخصب والثراء..." (حسين، 2014م، صفحة 31، 32)

يلاحظ تعدد الإحالات الضميرية وتنوعها في هذه الفقرة، فضمير الرفع (واو الجماعة) في قوله: **"كانوا، عادوا، فقرروا، يقنعون، جاهدوا، فظفروا، يجاهدوا، ليظفروا"** يحيل إلى بؤرة واحدة وهي قوله **"المصريون"**، وهي إحالات متعددة؛ لأن جملة من العناصر المحيلة تحيل إلى عنصر واحد، فالضمير "الواو" في كلٍ مما سبق عنصر إحالي يحيل إلى عنصر إشاري سابق وهو كلمة **"المصريون"** في بداية الحديث، وهذه إحالة نصية إلى سابق، وتتنوع بين إحالة قريبة المدى وإحالة بعيدة المدى، وكذا الضمير المتصل "نا" في كلمة **"بيننا"** و **"حلفائنا"** هو ضمير يعود على عنصر إشاري خارج النص، فهو يقصد بها المجتمع المصري، فهي بذلك إحالة مقامية، ويعد كذلك الضمير "هم" عنصرًا إحاليًا يحيل

إلى عنصر إشاري سابق "المصريون"، وهي إحالة نصية إلي سابق، ويحيل ضمير الغائب "هو" مرة إلى عيد وفاء النيل في قوله: "عيد قديم"، ومرة أخرى يحيل إلى عيد الاستقلال في قوله: "عيد حديث" وبذلك نجد تنوع الضمائر الموظفة في الإحالات ما بين: "واو الجماعة- هو- هم- نا".

وبالتالي فالنص يسير في هذا المقال في تتابع متصل أحدثته الإحالة الضميرية، حيث تحيل العناصر الإحالية إلى مرجعيات لفظية صريحة، وقد أعطت الإحالة النص حيوية واستمرارًا، حيث مثلت كلمة "المصريون" بؤرة مركزية في النص، فكانت المرتكز الذي دارت حوله مكونات النص فارتبطت بها الجمل اللاحقة من خلال العناصر الإحالية، وأظهر هذا تناسق النص وترابطه.

مثال٢:

في سياق حديث "د. طه حسين" عن مقالاته وأحاديثه في الصحف وردود أفعال الناس عليها يقول في مقال **"الضمائر القلقة"**:

"...أمضي في الكتابة، ويمضي الناس في التساؤل، ثم لا يقف الأمر عند التساؤل والإلحاح فيه، وإنما يختلف الناس فيما **بينهم ويُغلون** في الاختلاف، ويريد **بعضهم** أن يَحْتَكم **إليّ** ويجد **عندي** حلًا لهذه الرموز، وتوضيحًا لهذه الألغاز، ويتصل **بعضهم بي يسألني** أن **أريحه** من هذا **التعب** الذي اضطررته إليه، ويتجاوز **بعضهم** هذا كله فيكتب **إليّ** الرسائل **ينبئني** فيها بما يعلم من حياة فلان وفلان، ومن خصال فلان وفلان، ومما يظهر فلان للناس ويخفي **عليهم**، ويطلب إليَّ أن أصدر هذا في حديث من هذه الأحاديث التي تنشر في «البلاغ» ثم ألاحظ أن الأمر ليس مقصورًا **عليّ** ولا على هذه الأحاديث التي **أذيعها**، ولكنه **يتجاوزني** ويتجاوز **أحاديثي** إلى قوم آخرين، وأحاديث أخرى تنشر في الصحف اليومية والأسبوعية" (حسين، 2014م، صفحة 50)

في هذا القول أنواع مختلفة من الإحالات الضميرية، فقد وظف الكاتب الإحالة المقامية بضمير المتكلم في قوله: "إليّ- عندي- بي- يسألني- ينبئني- عليّ- يتجاوزني- أحاديثي" ليحيل إلى ذاته (**الكاتب**) وقد أحدثت الضمائر هنا فضاءً إحاليًا واسعًا، فتعددت الإحالات واتحد المرجع الإحالي. ثم يحيل إحالة نصية إلى سابق أي إحالة قبلية بواسطة ضمير الغائب "هم" في قوله: "بينهم- بعضهم- عليهم"، فالعنصر الإحالي "هم" يحيل إلى العنصر الإشاري "الناس"، وكذلك يحيل الضمير "الهاء" في قوله "أذيعها" إلى العنصر الإشاري "الأحاديث" وهي إحالة نصية إلى سابق، وهكذا حققت الإحالة بأنواعها المختلفة الربط بين أجزاء النص وعليه فقد أسهمت الإحالة في تماسك النص واتساقه من خلال تضافر الجمل مع بعضها البعض واتصالها المنطقي كذلك.

مثال ٣:

يصف د. طه حسين الرجال المترفين من أهل القاهرة في مقاله **"في الذوق"** فيقول:

"فالرجل المترف من أهل القاهرة في أول هذا القرن كان قد ورث عن **أسرته** ألوانًا من الأخلاق والعادات تأثرت بها **سيرته** فيما **بينه** وبين **نفسه**، وفيما بينه وبين **أهله**، وفيما بينه وبين الناس فهو لا يظهر لأهله إلا في لون معين من **لبسه** المتفضل، **وهو** لا يتحدث **إليهم** إلا بألفاظ مختارة منتقاة ثم **هو** لا يظهر للناس إلا في زينة أنيقة معتدلة قد لاءم بين دقائقها ملاءمة شديدة الاتساق والانسجام، **وهو** لا يتحدث إلى الناس إلا بألفاظ عذاب رقاق، وفي صوت معتدل لا يرتفع فيؤذي الآذان ولا يسرف في الانخفاض فيشق على النفوس، **وهو** رفيق رقيق متأنق في **إشاراته** وفي **حركاته**، وهو حين يخرج من

داره. إلى **عمله** أو إلى زيارة صديق يتخذ **عربته** تلك المترفة **يجرها** الجواد المترف **ويسوقها** السائق الأنيق" (حسين، 2014م، صفحة 56)

في هذا النص نجد عددًا من الإحالات الضميرية مع اختلاف المرجع الذي تحيل إليه، في هذا النص إحالة نصية إلى سابق؛ حيث أحال ضمير الغائب المفرد المذكر -المذكور أكثر من مرة- "هو" إلى النواة الرئيسة في النص "الرجل المترف"، وهي إحالة ذات مدى بعيد، ويلاحظ مطابقة العنصر الإحالي للعنصر الإشاري في الجنس والعدد، كما ضم النص في الوقت نفسه ضميرًا آخر وهو الضمير الغائب المتصل "الهاء" في كل من "أسرته- سيرته- بينه- نفسه- أهله- لبسه- إشارته- حركاته- داره- عمله- عربته"، فهذه العناصر الإحالية المتعددة ترجع إلى عنصر إشاري واحد وهو "الرجل المترف". وهي إحالة نصية إلى سابق، كما أحال الضمير "هم" في قوله" إليهم" إلى العنصر الإشاري "أهل" وهي إحالة نصية إلى سابق ، وهي بعيدة المدى وأحال الضمير "الهاء" في قوله: "يجرها- يسوقها" إلى لفظة "عربة" وهي إحالة قبلية حيث أحالت إلى عنصر مذكور سابقًا. يلاحظ من خلال الضمائر الموظفة في هذا النص التوازي بين العنصر الإحالي "الضمائر" والعنصر الإشاري، وقد دل هذا التوازي على عمق الترابط بين جمل النص، وذلك عبر تحكمه في النص وبنائه، فأحدث الثبات اللازم لمتابعة المتلقي لأحداث الخطاب، كما أسهمت الإحالة بالضمائر في تماسك النص وهذا من خلال البعد عن التكرار، إذ قامت ضمائر الغيبة باختزال العنصر الإشاري مركز النص "الرجل المترف" الذي لو تكرر في النص عوضًا عن الضمائر لكان هذا سببًا في هلهلة النص وضعفه أسلوبيًا.

مثال٤:

يفتتح د. طه حسين مقاله "جوع وأحاديث" بقوله:

"لا يغضب المواطنون الأعزاء أن نشق **عليهم** في القول ونُعَنِّف **بهم** في الحديث، فقد يجب أن يقال الحق وإن لم يبلغ من **نفوسهم** موضع الرضا، وقد يجب أن يُقال الحق وإن بلغ من **نفوسهم** موضع الغضب، وأثار في **قلوبهم** موجدة وغيظًا، والمواطنون الأعزاء قد **تعودوا** أن يُكال **لهم** المدح كيلًا، ويُهال **عليهم** الثناء هيلًا، حتى **رضوا** عن أنفسهم أعظم الرضا، **وسخطوا** على **غيرهم** أشد السخط **وناموا** ملء **جفونهم** والأحداث لا تنام. وعاشوا ساهين لاهين **تتخطفهم** النوائب، وتعبث **بهم** الخُطُوب، فلا يُغير ذلك من **رأيهم** في أنفسهم **وحياتهم** شيئًا، **لأنهم** قد ألفوا الرضا عن **أنفسهم**، والاطمئنان إلى **حياتهم**. فأصبح من أعسر العُسر أن **نُخْرِجَهم** من هذا الرضا أو نُزْعِجهم عن هذا الاطمئنان ولا بد مع ذلك من أن **يبصروا** بحقائق الأمر، ومن أن **يُخْرَجُوا** مِنْ **رضاهم ويُزعجوا** عن **اطمئنانهم**، ويُعْلَمُوا أنهم يعيشون أبغض العيش، ويحيون أبشع الحياة، وأن هذا المثل العربي القديم الذي **اتخذته** عنوانًا لهذا الحديث لم يوضع إلا لهم، ولم يُضرب إلا **فيهم**" (حسين، 2014م، صفحة 91)

يسير هذا النص من المقال في تتابع لفظي أبرزته الإحالة الضميرية، فقد ذكر الكاتب في أول النص لفظة "المواطنون" وهي المرجع الإشاري الذي ترتبط به الأحداث النصية جميعها، حيث يلاحظ أن الجملة الأولى في النص "المواطنون الأعزاء" مرتبطة بها جمل النص التالية أشد الارتباط وذلك بوساطة ضمائر الغيبة المحلية إلى المواطنون، فالكاتب أراد أن يبقى المتلقي في فلك الحديث عن المواطنين. والمتلقي يستقبل النص دون أن يلتبس عليه المركز الأساس الذي يدور فيه النص، فنجد أن الضمير المتصل "هم" في قوله "عليهم- بهم- نفوسهم- قلوبهم- لهم- غيرهم- جفونهم- تتخطفهم- أنهم- أنفسهم- حياتهم- نخرجهم- رأيهم- رضاهم- اطمئنانهم- لهم-فيهم" يحيل إلى مرجع إشاري واحد وهو "المواطنون"، وكذلك واو الجماعة في قوله "تعودوا- رضوا- سخطوا- ناموا- يبصروا- يخرجوا-

يزعجوا" تعود أيضًا على المواطنين؛ وبذلك فقد حقق ضمير الغيبة وضمير الرفع المتصل في هذه المواطن أثره في الربط بين أجزاء هذا النص حيث اقتضت الإحالة العودة إلى الوراء في النص من أجل البحث عن العناصر الإشارية التي أُحيل إليها، وهذا أسهم في تحقيق تماسك النص والربط بين أجزائه، وفي قوله "اتخذته" إحالة مقامية فـ"تاء الفاعل" يشار بها إلى الكاتب ذاته، فالضمائر هنا كانت وسيلة مهمة أحدثت الاتساق بين أجزاء النص من خلال ربط السابق باللاحق من الجمل، فقد شكلت داخل النص عقدًا نُظمت حباته، فأصبحت الجمل داخله متتابعة متضافرة مشكلة نصًا مترابطًا ومحكمًا ومتسقًا. ويلاحظ مما سبق ذكره تنوع الإحالات بين النصية والمقامية مما يسترعي انتباه القارئ ويستدعي تركيزه في فهم النص.

يلاحظ فيما سبق غلبة ضمير الغائب على نصوص المقالات، كما يلاحظ تنوع الإحالة الضميرية في النصوص ما بين الإحالة النصية والمقامية، وإن غلبت الإحالة القبلية التي أسهمت في ربط سابق النص بلاحقه، وقد أسهم هذا التنوع في الإحالة في تماسك النص على الصعيد الشكلي، ومد جسور الاتصال بين النص والعالم الخارجي عبر الإحالات المقامية.

وعلى هذا النسق وظفت الإحالات الضميرية في بقية نصوص المقالات؛ إذ هيمنت عليها إحالة الضمير إلى ما سبقه، وعليه تحكمت الإحالة في بناء النص، لكن أثر كل محيل من هذه الضمائر يختلف بحسب سياق الاستعمال اللغوي للضمير نفسه.

وعليه فتحقق الاتساق النصي، وظهر ذلك على فقرات النص بشكل واضح وذلك من خلال الابتعاد عن التكرار الذي لا يقصد به غاية إبداعية وأسلوبية .

ثانيًا: الإحالة الإشارية (أسماء الإشارة)

اسم الإشارة هو "ما دل على إشارة ومسمى إليه" (ابن هشام، 2004م، صفحة 172)، وينقسم حسب المشار إليه إلى ثلاثة أقسام: "ما يشار به للمفرد، وما يشار به للمثنى، وما يشار به للجماعة، وكل من هذه الثلاثة ينقسم إلى مذكر ومؤنث" (ابن هشام أ.، 1994م، صفحة 174)

وتتساوى أسماء الإشارة مع الضمائر الدالة على الغائب في كونها تحيل عادة إلى ما هو داخل النص، ويمكن تقسيمها إلى ما يأتي: (عفيفي، 2005م، صفحة 532، ج2) (خطابي، 1999م، صفحة 19)

أ – تقسيم حسب الظرفية:

- ظرفية زمانية، مثل: الآن، غدًا.
- ظرفية مكانيّة، مثل: هنا، هناك.

ب – تقسيم حسب المسافة:

- قريب مثل: هذا، هذه، هؤلاء.
- بعيد، مثل: ذاك، ذلك، تلك.

ج- تقسيم حسب النوع:

- مذكر، مثل: هذا.
- مؤنث مثل هذه.

د- تقسيم حسب العدد:

- مفرد مثل: هذا، هذه.
- مثنى مثل: هذان، هاتان.
- جمع، مثل: أولئك، هؤلاء.

وتقوم أدوات الإحالة الإشارية بعملية الربط القبلي والبعدي، ومعنى ذلك أنها تربط جزءًا لاحقًا من النص بجزء سابق والعكس، ومن ثم تسهم في اتساق النص. ويتميز اسم الإشارة المفرد بما أطلق عليه الباحثان هاليداي ورقية حسن "الإحالة الموسعة" أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو إلى متتالية من جمل. (Halliday & Hasan, 1976, p. 52) (خطابي، 1999م، صفحة 21)

وقد ظهرت الإحالة بالإشارة باختلاف أنواعها في مقالات د. طه حسين في كتاب **"بين بين"** ومن أمثلة ذلك:

مثال١:

ما ورد في **"عيد"** في سياق الحديث عن مظاهر العيد التي أقرتها الحكومة حيث يقول الكاتب:

"ألا ترى إلى الحكومة قد أمرت أن تُرفع الأعلام على الدواوين في العاصمة والأقاليم ليرى الناس جميعًا أن الأمة المصرية راضية مبتهجة، تحتفل بعيدها السعيد، أو بعيديها السعيدين كل شيء يدل في وضوح وجلاء على أننا سعداء، ويوجد بيننا مع **ذلك** من يرسم على ثغره **هذه** الابتسامة الحزينة الكئيبة المرة ويقول في لهجة المتنبي الساخرة اللاذعة:

عيد بأية حال عدت يا عيد*** بما مضى أم لأمر فيك تجديد

ذلك لأن **هؤلاء** الناس يرون أشياء لا تراها الحكومة، أو لا تحب أن تراها، أو لا تجب أن يظهر أنها تراها، وهم حين يرون **هذه** الأشياء يشعرون بأن **هذه** السعادة الظاهرة ليست من السعادة في شيء، وإنما هي تجلد على احتمال الشر، وتكلف الاحتمال الشقاء واحتيال للتخلص من المكروه" (حسين، 2014م، صفحة 32)

ففي هذا النص اسم الإشارة المفرد المؤنث "هذه" عنصر إحالي يحيل إلى عناصر إشارية وهي على الترتيب "الابتسامة- الأشياء- السعادة"، وهذه إحالة نصية لاحقة، حيث ذكر العنصر المحيل ثم بعده العنصر المحال إليه، وأحال اسم الإشارة للجمع "هؤلاء" إلى العنصر الإشاري "الناس" وجميع هذه الإحالات قريبة المدى، وكذلك أحال اسم الإشارة للبعيد "ذلك" إحالة نصية قبلية إلى مضمون الكلام السابق عليه، فعوضه وأكده، فهي إحالة موسعة أي بعيدة المدى، حافظت على نسيج النص وعدم التكرار.

مثال٢:

في سياق الحديث عن المناخ الصحفي الذي يحيط بالمصري، وما ينشر في الصحف مما يسبب القلق للضمير المصري يقول:

"إذا أضفت إلى **هذا** كله حياتنا السياسية الخاصة وما يشوبها من **هذا** العنف الذي يدفع إلى التكلف، ويسوق إلى سوء الظن، ويحمل على المبالغة والتكثر، ويُغري بخلق الإشاعات وإذاعة المنكر من القول، ويحرص على تشويه الحسن وتحسين القبيح، وإذا أضفت إلى **هذا وذاك** أن المثقف المصري محدود الثقافة متوسط العلم في أكثر الأحيان وأنه من أجل **ذلك** مستعد للتصديق والتكذيب في غير مقاومة، أو في مقاومة ضئيلة أقول: إذا أضفت بعض **هذا** كله إلى بعض استطعت أن تحقق أسباب هذا

القلق الذي يشمل الضمير المصري في **هذه** الأيام، ويوشك أن يدفعه إلى خطر عظيم" (حسين، 2014م، صفحة 52)

في بداية هذا النص يذكر الكاتب اسم الإشارة المفرد المذكر "هذا" وهو عنصر إحالي يحيل إلى النص السابق لهذا النص الذي يتحدث فيه عن حياة الناس العامة والخاصة وما يخضعون له من خطوب ثقال، من أهوال الحرب ومصاعب الحياة الاقتصادية والبؤس والحرمان وغير ذلك من المتاعب الأخرى، فالكاتب عوضًا عن ذكر كل هذه الأمور مرة أخرى أحال إليها باسم الإشارة "هذا"، فهي إحالة نصية قبلية بعيدة المدى، ومثل ذلك قوله: "هذا وذاك- هذا-ذلك" وهي إحالة قبلية، فقد أشار بها إلى متوالية من الجمل وردت قبلها، وهذه إحالة تركيبية، فلم تحل الإشارة إلى لفظ، وإنما إلى معنى، وبذلك حفز ذاكرة المتلقي، ونشط قدرًا كبيرًا من المعلومات السالف ذكرها، وهذا ما يمتاز به اسم الإشارة المفرد، فقد عزز بناء النص وتماسكه وانسجام معانيه، وذلك عندما أغنى عن إعادة تكرار الألفاظ التي أحال إليها، وعلى عكس ذلك فقد أحال باسم الإشارة المفرد المذكر "هذا" إلى لفظتي "العنف- القلق" على الترتيب، وهي إحالة نصية بعدية قريبة المدى، وأحال اسم الإشارة المفرد المؤنث إلى كلمة "الأيام" وهي كذلك إحالة نصية بعدية قريبة المدى

يلاحظ في النص السابق تنوعًا في الإحالات الإشارية، ما بين الإحالة القبلية والبعدية وكذلك الإحالة قريبة المدى وبعيدة المدى بجميع هذه الأنواع تحقق نسيجًا نصيًا متداخلًا ومتماسكًا.

مثال٣:

ما ورد في مقال **"في الذوق"** في سياق الحديث عن التغيير الذي أصاب الذوق المصري متأثرًا بالعناصر الأمريكية وغيرها حيث يقول الكاتب:

"وربما كان أخص ما يمتاز به **هذا** الهجوم الذي غَيَّر الحضارة المصرية فغَيَّر الذوق المصري تغييرًا عنيفًا خطيرًا، أنه تأثر بالعنصر الأمريكي أكثر مما تأثر بالعناصر الأوروبية فقد صحبنا الحضارة الأوروبية منذ أول القرن الماضي، بل منذ أواسط القرن الثامن عشر، وتأثرنا بمصاحبتها وتغيرت لها أخلاقنا وأذواقنا وحياتنا تغيرًا شديدًا، ولكن **هذا** التغير تم في اعتدال، لم يَعْنُف بنا ولم يخرجنا عن أطوارنا بمقدار ما عَنُفَ بنا **هذا** التغير الطارئ بين الحربين، ومنذ أثيرت الحرب الثانية بنوع خاص، ومنذ انقضت هذه الحرب الثانية بنوع أخص" (حسين، 2014م، صفحة 57)

في هذا المثال أحال الكاتب باستخدام اسم الإشارة المفرد "هذا" وهو عنصر إحالي يحيل إلى عنصر إشاري لاحق "الهجوم- التغير" على الترتيب، ولذلك فهي إحالة بعدية، وكذلك يحيل اسم الإشارة المفرد المؤنث "هذه" إلى العنصر الإشاري اللاحق له "الحرب"، وبذلك ربطت الإحالة البعدية عبر اسم الإشارة أواصر النص بعضها ببعض، وحققت ترابطًا نصيًا قويًا.

مثال٤:

ما ورد في مقال **"جوع وأحاديث"** في سياق الحديث عن الحكومة والبرلمان يقول الكاتب:

" قد رضيت الحكومة عن نفسها، فأثنت على نفسها، ورضي البرلمان عن الحكومة فصفق للحكومة، وسمع الشعب للحكومة تقول والبرلمان يصفق، فرفع الأكتاف وهز الرءوس، وترك الخلق للخالق، وأقبل المترفون على ترفهم ينعمون بغير حساب، وأقبل المحرومون على حرمانهم يألمون بغير حساب، وتذبذب بين **أولئك وهؤلاء** فريق من أوساط الناس يأكلون في غير شبع، ويشربون في غير ري،

وكلهم راض بما كان، مطمئن لما هو كائن مُسْتَعِد لما سيكون واثق بأن مصر هي كنانة الله في أرضه..." (حسين، 2014م، صفحة 92)

استخدم الكاتب الإحالة النصية في هذا النص من خلال قوله: **"أولئك وهؤلاء"** وهي إحالة نصية قبلية بعيدة المدى، حيث تحيل أسماء الإشارة إلى "المحترفون والمحرمون" على الترتيب، وبذلك فقد حققت أسماء الإشارة ترابطًا نصيًا وذلك من خلال اختزالها لعدة جمل، فلو أعيدت الجمل التي أغنت عن إعادتها أسماء الإشارة لأصيب النص بالركاكة والاختلال الذي يفضي إلى تفكيك النص، وعوضًا عن ذلك قامت أسماء الإشارة مقام الوحدات النصية المتقدمة عليها فأفادت الإيجاز والاختصار، وجعلت جمل النص متسلسلة متتابعة، فترسم بذلك صورة مترابطة متسقة للنص، وظهرت فاعلية أسماء الإشارة في تحقيق الاتساق النصي.

من خلال الأمثلة السابقة يلاحظ تنوع الإحالات ما بين الإحالة النصية الإشارية (البعدية والقبلية)، يمكن القول إن أسماء الإشارة قامت بوظيفة مهمة جدًا في تحقيق التماسك النصي على مستوى نصوص المقالات من خلال الأمثلة المذكورة، وقد قامت الإحالات الموسعة التي تعدّدت مرجعياتها بمد الجسور بين الملفوظات المتباعدة في النص فكان بذلك الترابط النصي أقوى وأحكم، وجاءت أغلب الإحالات نصية، مما يسهل على متلقي النص عملية إيجاد العناصر الإشارية، ومع تحقق الترابط النحوي عن طريق الإحالة الإشارية تحقق التماسك الدلالي للمعاني.

ثالثًا: الإحالة بالاسم الموصول

يذكر ابن يعيش (ت643هـ) أن "معنى الموصول أن لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده، تصله به ليَتِم اسمًا، فإذا تم بما بعده، كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، ويجوز أن يقع فاعلًا ومفعولًا ومضافًا إليه ومبتدأ وخبرًا" (ابن يعيش، 2001م، صفحة 371، ج2)

فالاسم الموصول: "اسم مبهم يحتاج -دائمًا- في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه، إلى أحد شيئين بعده؛ إما: جملة وإما شبهها، وكلاهما يسمى: صلة الموصول، ولا بد في الجملة من ضمير يعود على اسم الموصول، أو ما يغني عن الضمير" (حسن، صفحة 341، ج1)

ولا يجوز أن تتقدم الصلة على الموصول لأنها كبعضه، ولابد أن يكون في صلة الاسماء الموصولة ما يرجع إليها. (ابن السراج، 1996م، صفحة 223، ج2)

والاسم الموصول إما أن يكون اسمًا خاصًا، أي يدل على مفرد أو مثنى أو جمع، تذكيرًا أو تأنيثًا، وإما أن يكون عامًا غير مختص. (الراجحي، 1999م، صفحة 85)

أولًا: الأسماء المختصة:

ويراد بها ما كان نصًّا في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض، مقصورًا عليها وحدها، فلنوع المفرد المذكر ألفاظ خاصة به، ولنوع المفردة المؤنثة ألفاظ خاصة بها، وكذلك للمثنى بنوعيه، وللجمع بنوعيه، ومن أشهر الألفاظ المختصة (حسن، صفحة 342: 346، ج1):

- الذي: للمفرد المذكر.
- التي: للمفرد المؤنث.
- اللذان واللذين: للمثنى المذكر.

- اللتان و اللتين: للمثنى المؤنث.
- الذين: للجمع المذكر.
- اللاتي: لجمع المؤنث.

ثانيًا: الأسماء العامة والمشتركة:

هي ما ليس نصًّا في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض، وليس مقصورًا على بعضها؛ وإنما يصلح للأنواع كلها، (حسن، صفحة 342، ج1) وهي (ابن عقيل، 1980م، صفحة 146، ج1):

- من: وأكثر استعمالها للعقلاء.
- ما: وأكثر استعمالها في غير العاقل
- الألف واللام "ال": وتكون للعاقل وغيره مفردًا وغير مفرد.
- ذا: وتكون للعاقل وغيره مفردًا وغير مفرد.
- أيّ: وتكون للعاقل وغيره مفردًا وغير مفرد.

وعند النظر في نصوص مقالات طه حسين في كتاب **"بين بين"**، يلاحظ ورود الاسم الموصول في أغلب نصوص المقالات، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية:

مثال١:

ما ورد في مقال **"عيد"** في سياق تحسر الكاتب على حال المصريين في يوم عيد الاستقلال حيث يقول:

" كانوا يُقدرون أنهم سيحتفلون في هذا اليوم بكسب الحقول ونيل الآمال، فإذا هم يحتفلون في هذا اليوم بإمضاء المعاهدة **التي** أكل الدهر عليها وشرب، **والتي** أبلتها الأعوام القليلة لكثرة **ما** في هذه الأعوام من الأحداث والخطوب، وإذا هم اليوم كما كانوا في سنة ١٩٣٧ بعد أن مضى عام واحد على إمضاء المعاهدة يرضون بالقليل وينتظرون الكثير كأن الحوادث لم تحدث، وكأن الخطوب لم تلم، وكأن إيطاليا وألمانيا واليابان لم تستسلم بلا قيد ولا شرط." (حسين، 2014م، صفحة 35)

في هذا النص يحيل اسم الموصول المختص "التي" إحالة قبلية قريبة المدى، إلى "المعاهدة"، وأحال اسم الموصول "التي" المذكور ثانية إلى "المعاهدة " ولكنها إحالة قبلية، بعيدة المدى، وفسرت جملة الصلة في كلا المثالين الاسم الموصول ووضحته. وتحقق التماسك بين جمل النص من خلال التطابق بين اسم الموصول ما يحيل إليه.

مثال٢:

ورد في مقال **"الضمائر القلقة"** في سياق حديث الكاتب عن سبب القلق والريب الذي بدأ يصيب الناس في تلك الفترة فيقول:

"ولست أدري – بل لعلي أدري، ولعل كثيرًا من الناس يدرون - ما مصدر هذا القلق، وما أصل هذا الريب. فقد دفعتنا هذه الأعوام المتصلة إلى ألوان من الحياة لم نكن نألفها ولا نطمئن إليها، وأولها وأظهرها هذه الأحكام العرفية **التي** اقتضتها الحرب **والتي** استتبعت مراقبة الصحف، **والتي** ألقت في روع الناس جميعًا أن أمورهم لا تجري على ما تعودت أن تجري عليه قبل أن تعلن الأحكام العرفية، وقبل أن تفرض الرقابة على الألسنة والأقلام ومما لا شك فيه أن الأحكام العرفية لم تشمل حياتنا كلها،

ولعلها لم تشمل إلا أقلها، ولكن الناس قد فرضوا فيما بينهم وبين أنفسهم أنها قد شملت كل شيء...غير أن الناس لم يخضعوا منذ أعلنت الحرب للأحكام العرفية والرقابة وحدها. وإنما خضعوا لأشياء أخرى... خضعوا لحياة الحرب نفسها **وما** تفرضه من الغموض في أنباء الحرب والسياسة، **وما** تقتضيه من هذه الأحاديث المتناقضة **التي** يكتب بعضها بعضًا، **والتي** تذاع في الراديو كل يوم، **وما** تقتضيه من هذه الإشارات الغامضة **التي** تنشر في الصحف والمجلات حتى تعود الناس أن يسمعوا النبأ فلا يصدقوه، أو أن يسمعوا النبأ فيستنبطوا منه غير ظاهره، وربما استنبطوا نقيضه، وحتى تعلم الناس أن يقرءوا بين السطور وأن يسمعوا بين السطور إن أمكن أن يسمع الناس بين السطور" (حسين، 2014م، صفحة 51، 52)

في هذا النص أُحيل بالاسم الموصول المختص "التي" إحالة نصية قبلية، فالعنصر الإشاري الذي يحيل إليه الاسم الموصول قوله "الأحكام العرفية"، والعائد هو الضمير المتصل "الهاء" وضمير الرفع المستتر "هي" في قوله: "اقتضتها-استتبعت-ألقت"، وكذلك يحيل اسم الموصول العام "ما" إلى مرجع آخر وهو قوله "حياة الحرب" والعائد هو الضمير المتصل "الهاء" في كل من "تفرضه- تقتضيه"، ثم يحيل اسم الموصول المختص "التي" إلى عنصر إشاري ثالث وهو قوله: "الأحاديث" ويحيل إلى العنصر نفسه باستخدام اسم الموصول العام "ما" والعائد الضمير المتصل "الهاء" في قوله: "تقتضيه"، ثم يحيل إحالة أخيرة باسم الموصول "التي" إلى العنصر الإشاري "الإشارات" وهي إحالة نصية قبلية، من خلال هذه الإحالات يلاحظ أنه تم تحقيق الترابط بين صلتي الموصول واسميهما عن طريق الضمير العائد ، وبالتالي المحافظة على بناء النص وترابط الجمل فيه، ويلاحظ في النص السابق تنوع الإحالات بالأسماء الموصولة العامة والمختصة، وكذلك التطابق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه؛ مما أسهم في خلق التماسك بين جمل النص وجعله متسقًا ومحكمًا يسهل على المتلقي فهمه و إدراكه.

مثال٣:

ما ورد في مقال **"في الذوق"** في سياق الحديث عن الترف عند المصريين في هذا الوقت حيث يقول الكاتب:

"...أخذ المترفون من المصريين يتركون ترفهم القديم الأنيق **الذي** كانوا يعرفونه ويألفونه ويُحسنون تنميقه والتأنق فيه إلى الترف الغربي الجديد **الذي** لم يعرفوه ولم يألفوه، ولم يتح لهم أن يفتنوا فيه وإنما أخذوه كما هو، واندفعوا فيه غير متحفظين، فكانوا محدثين وقد تغير تصورهم للحياة بتغير ما يحيط بهم من الأداء، فاضطربت أحكامهم على الأشياء، وساء تقديرهم للظروف، وتغير ذوقهم شيئًا فشيئًا" (حسين، 2014م، صفحة 56)

في النص السابق ارتبط الاسم الموصول المفرد المختص "الذي" بمرجع سابق "الترف القديم" والعائد الذي يربط الاسم الموصول وصلته الضمير المتصل "الهاء" في "يعرفونه- يألفونه- تنميقه"، واستخدم الكاتب عنصر الإحالة نفسه "الذي"، لكن العنصر الإشاري مختلف وهو قوله: "الترف الغربي" والعائد الضمير المتصل "الهاء"، وكلاهما إحالة نصية قبلية قريبة المدى، ولقد تحقق التماسك عن طريق ارتباط صلة الموصول مع اسمها وتفسيرها له.

مثال٤:

ما ورد في مقال **"جوع وأحاديث"** في سياق الحديث عن خطبة العرش التي ألقاها رئيس الوزراء في البرلمان حيث يقول:

"كانت رائعة بارعة خطبة العرش **التي** ألقاها رئيس الوزراء في البرلمان، صورت لنا الحياة المصرية كأحسن ما تكون حياة الأمم: حكومة جادة لا تنام ولا تنيم، وشعب عامل لا يريح ولا يستريح... وفي أثناء هذا كله كان المواطنون يموتون مئات، ويمرضون مئات يتخطفهم هذا الموت الطارئ، ويَصْرَعُهم هذا الموت الطارئ، ومن حولهم ألوف وألوف يتخطفهم الموت العادي **الذي** لا يحمله الوباء، ويصرعهم المرض العادي **الذي** لا يحمله الوباء أيضًا. وفي أثناء هذا كذلك كانت ملايين من المواطنين تنعم بالجهل **الذي** يحجب عنها حقائق الحياة، فلا ترى ما هي فيه، ولا توازن بين حياتها وحياة غيرها من أبناء الأوطان الأخرى .... وكانت هذه الملايين في أثناء ذلك أيضًا تنعم بفقرها **الذي** يشغلها بالتماس القوت وإطعام العيال وكسوتهم دون أن تجد ما تسعى إليه، ولكنه يشغلها على كل حال بذلك عن التفكير في حياتها، والموازنة بينها وبين حياة غيرها من أبناء الأوطان الأخرى" (حسين، 2014م، صفحة 92)

في هذا النص السابق يحيل اسم الموصول المفرد المختص "التي" إلى العنصر الإشاري "الخطبة"، وهي إحالة نصية قبلية قريبة المدى، والعائد الذي يربط الاسم الموصول وصلته الضمير المتصل "الهاء" في قوله: "ألقاها"، ثم يحيل باستخدام اسم الموصول المختص "الذي" إلى عدة عناصر إشارية مختلفة وهي على الترتيب "الموت- المرض- الجهل- فقر"، والضمير العائد الذي يربط الاسم الموصول وصلته الضمير المتصل "الهاء" في جميع الإحالات السابقة، ويتضح أن اسم الموصول حقق الربط في النص، حيث ربط الكلام السابق باللاحق، ومن ثم ربط أجزاء النص بعضها ببعض، ومنه حقق الترابط الشكلي ومن ثم وصول المعنى للمتلقي.

رابعًا: الإحالة بأدوات للمقارنة

تعرف أدوات المقارنة بأنها "كل الألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كمًا وكيفاً أو مقارنة". (عفيفي، 2005م، صفحة 534، ج2)

وقد قسم د. محمد خطابي هذه الأدوات إلى "عامة يتفرع منها التطابق (ويتم باستعمال عناصر مثل Same) و التشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل Similar)، والاختلافات باستعمال عناصر مثل (Wise – Other)، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية تتم بعناصر مثل (More) وكيفية بعناصر مثل (أجمل من، جميل، مثل ...) ". (خطابي، 1999م، صفحة 19)

وبذلك يمكن تصنيف الألفاظ التي تعبر عن المقارنة العامة في اللغة العربية كالآتي (يونس م.، 2004م، صفحة 191، ج1، ع1):

ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التشابه:

ومنها "شبيه"، و"مشابه"، "كأن"، "كاف التشبيه"

- ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التطابق:

ومنها: "مطابق"، "مساو"، "مماثل"

- ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التخالف:

ومنها "مخالف"، "مختلف"، "مغاير".

ولقد ظهرت بعض ألفاظ المقارنة بوضوح في مقالات د. طه حسين في كتابه "بين بين"ومن ذلك:

مثال١:

في سياق الحديث عن حال المصريين في أعيادهم يقول طه حسين في مقال **"عيد"**:

"كذلك يحتفل المصريون بوفاء النيل، فأما احتفالهم بالاستقلال فليس **أقل** روعة ولا بهجة ولا جمالًا، هو ملائم كل الملاءمة لحياتهم المادية التي يحيونها. كانوا يظنون أن إمضاء المعاهدة خطوة تقرب من الأمل، وتدني من الحق، وكانوا يظنون أنهم قد دافعوا عن الديمقراطية، وأبلوا في الدفاع عنها بلاء حسنًا، وكانوا يظنون أنهم قد صبروا حين قل الصابرون، وأنهم قد وفوا حين قل الأوفياء، وأنهم قد ثبتوا حين زاغت الأبصار، وطارت النفوس، وبلغت القلوب الحناجر، وأن هذا كله سيبلغهم آمالهم. ويكسبهم حقوقهم، ولكنهم نظروا فإذا الذين لم يصبروا ولم يثبتوا ولم يفوا **أحسن** منهم حالًا، **وأدنى** منهم إلى تحقيق الآمال وإرضاء المطامع والمآرب" (حسين، 2014م، صفحة 34)

ففي هذا النص أكثر من أداة للمقارنة جميعها تنتمي إلى أدوات المقارنة الخاص، حيث استعمل الكاتب اسم التفضيل "أقل، أحسن منهم، أدنى منهم، أقوى" كل هذه الأدوات أقامت علاقة تفاضل وتقابل بين الحال التي كأن يأمل المصري الوصول إليها بعد المعاهدة والواقع الأليم الذي اصطدم به، وعززت الفكرة التي يريد الكاتب طرحها على المتلقي، وهذه العلاقة كونت النواة الرئيسة في النص وهي سوء حال المصريين وحزنهم على الرغم من مجيء العيدين.

مثال٢:

ما ورد في مقال **"الضمائر القلقة" في** سياق وصف د طه حسين لموقف المصريين تجاه الساسة والصحافة حيث يقول:

"وليس موقف الناس مما ينشر أو يقال **بأقل** تحفظًا واحتياطًا من موقفهم بإزاء ما يأتيه الساسة من الأعمال، أو ما يكون بينهم من التزاور والتواصل، أو ما يكون بينهم من التنافر والتقاطع. ومن المحقق أن الأمر ليس مقصورًا على رجال السياسة وأشباههم من الذين ينهضون بالأعمال العامة، ولكنه يتناول ما يكون بينهم من صلات في حياتهم الخاصة" (حسين، 2014م، صفحة 51)

ففي هذا النص استخدم الكاتب كلمة "أقل" وهي كلمة دالة على المقارنة لتحيل إلى "موقف الناس"، وهي إحالة نصية بعدية، وهذا العنصر المقارن قام بوظيفة اتساقية سببية هدفت إلى إحداث تزامن وترابط في بنية النص، فقوله: "ليس بأقل" عقد به مقارنة بين موقف الناس مما ينشر في الصحف وموقفهم اتجاه الساسة وأعمالهم وأفعالهم، وبذلك ربطت هذه الكلمة اللاحق لها بما سبق عليها.

مثال٣:

يفتتح د. طه حسين مقاله الذي بعنوان **"في الذوق"** بقوله**:**

"يقال إن الذوق ملاك الحضارة المترفة، ويقال من أجل ذلك إنه يوجد ويقوى ويشيع حيث يتاح الحضارة أن ترقى وترف وتبسط سلطانها على النفوس، ويقال إنه من أجل ذلك يوجد في المدن **أكثر** مما يوجد في القرى ويوجد في العواصم **أكثر** مما يوجد في مدن الأقاليم، ويوجد في القصور **أكثر** مما يوجد في الدور، ويوجد في الدور **أكثر** مما يوجد في الأكواخ" (حسين، 2014م، صفحة 55)

في هذا النص اعتمد الكاتب على الإحالة بأداة المقارنة الخاصة "أكثر" فقد استخدمها ليوضح بها وليقارن بين المدن والقرى وكذلك العواصم والأقاليم والقصور والدور وأخيرًا الدور والأكواخ، وبذلك فقد

ربطت كلمة "أكثر" الجمل الأولى بالثانية، حيث إن الشيء لا يكون أكثر أو أقل إلا بالموازنة بشيء آخر، وحتى يدرك المتلقي هذه المقارنة لا بد له من العودة إلى السابق على أداة المقارنة، فتوظيف الإحالة بالمقارنة أسهم بشكل كبير في ربط أجزاء النص برابط متين جعله وحدة نصية متماسكة ومتسقة.

مثال٤:

يقول في مقال **"جوع وأحاديث"** متحدثًا عن أيام ثلاثة من المفترض أن تكون ذات أهمية للمصريين فيقول:

"ولعل المواطنين الأعزاء قد فطنوا ليومين من أيام الأسبوع الماضي كان أحدهما عيد الجهاد، والآخر عيد الهجرة، وكان من قبلهما يوم له في حياتهم خطره الخطير، وشأنه العظيم وهو يوم افتتاح البرلمان. ولعل المواطنين الأعزاء، قد لاحظوا أن هذه الأيام الثلاثة قد انقضت **كما** تنقضي غيرها من أيامهم المتصلة التي يتبع بعضها بعضا، **ويُشبه** بعضها بعضا **كما تشبه** قطرة الماء، حتى **كأن** أيامهم على اختلافها وتعاقبها يوم واحد" (حسين، 2014م، صفحة 91، 92)

اعتمد الكاتب في توضيح فكرته على الإحالة بأدوات المقارنة العامة الدالة على المشابهة، فنجده يستخدم "كاف التشبيه" في قوله: "كما" و أداة أخرى مماثلة لها وهي لفظة "يشبهه" وذلك ليشبه الأيام الثلاثة "عيد الهجرة، عيد الجهاد، يوم افتتاح البرلمان" بالأيام العادية في حياة المصريين وكأنه ليس في هذه الأيام ما يميزها، ثم يوضح كيف كان انقضاء هذه الأيام من خلال تشبيها بقطرة الماء التي سقطت ولم يشعر بها أحد، وذلك من خلال استخدام أدوات المقارنة العامة "الكاف- تشبه" في قوله: "كما تشبه قطرة الماء"، ولتدعيم هذه الصورة جاءت "كأن" أداة مقارنة عامة، فهي تعبر عن دقة المشابهة بين المحيل والمحال إليه. فالكاتب هنا يريد إيصال فكرة محددة للمتلقي، وهي أن هذه الأيام الثلاثة التي من المفترض أنها تكون مهمة للمصريين مرت وكأنها أيام عادية، بل كأنها يوم واحد ولم يشعر بأهميتها المصريون، ولإيصال هذه الفكرة عمد إلى المقارنة بالأدوات العامة المعبرة عن التشابه التي ربطت أجزاء النص بعضها ببعض، فالجمل متسلسلة متتابعة بواسطة أدوات المقارنة التي أدت إلى إضافة اللاحق لها للسابق عليها، وذلك على سبيل التشابه والتطابق.

وعليه فقد اعتمد هذا النص في توضيح المراد منه وترابط أفكاره وتماسكها على الإحالة بأداة المقارنة العامة الدالة على المشابهة حيث ربطت السابق لها باللاحق عليها وأعطت علاقة دلالية على التشابه، عملت على ترابط أجزاء الكلام وتماسكها.

وهكذا كونت وبنت الإحالة المقارنة بنوعيها "العامة والخاصة" نصوصًا رصينة ومتماسكة ومتسقة.

الخاتمة

بعد دراسة الإحالة بوصفها ظاهرة لغوية في بعض مقالات طه حسين في كتاب "بين بين" توصلت الدراسة إلى:

- أنه مهما كثرت وتنوعت أنواع الإحالات، فإنها ترتكز على مبدأ أساسي واضح، وهو الاتفاق بين العنصر المرجعي أو المحيل والعنصر المحال إليه، سواء كان قبليًا أو بعديًا، داخل النص أو خارجه؛ حيث إن الغرض الأساسي الذي تستخدم من أجله الإحالات هو ربط أواصر النص من أجل صياغته كقطعة صلبة متينة محكمة السبك والاتساق والنسيج.
- يلاحظ في المقالات المدروسة بروز الإحالة النصية بكثرة، وتنوع الإحالة بين السابقة واللاحقة، وتنوع العناصر المحال إليها؛ مما حقق التماسك بين عناصر الجمل؛ وبالتالي بين فقرات النص، كما أن جميع الإحالات النصية، ساعدت على الربط بين جمل النص، وجعلها متماسكة محكمة بعيدة عن التنافر والتباعد في معانيها.
- أن الإحالات الضميرية وظفت في نصوص المقالات؛ وهيمنت عليها إحالة الضمير إلى ما يسبقه، وعليه تحكمت الإحالة في بناء النص، لكن أثر كل محيل من هذه الضمائر يختلف بحسب سياق الاستعمال اللغوي للضمير نفسه.
- أن أسماء الإشارة قامت بوظيفة مهمة في تحقيق التماسك النصي على مستوى نصوص المقالات من خلال الأمثلة المذكورة، وقد قامت الإحالات الموسعة التي تعدّدت مرجعياتها بمد جسور بين الملفوظات المتباعدة في النص فكان بذلك الترابط النصي أقوى وأحكم، وجاءت أغلب الإحالات نصية، مما يسهل على متلقي النص عملية إيجاد العناصر الإشارية، ومع تحقق الترابط النحوي عن طريق الإحالة الإشارية تحقق التماسك الدلالي للمعاني.
- أن الأسماء الموصولة الخاصة والعامة قد أسهمت في تحقيق التماسك في نصوص المقالات، وظهر ذلك من خلال عينة الدراسة، وقد حقق هذا التماسك الترابط في جمل النص، ولا شك أن التماسك الجزئي داخل الجملة هو اللبنة التي يتحقق من ورائها التماسك النصي الكلي على مستوى المقال.
- أن وجود أدوات المقارنة حقق لنصوص المقالات ترابطها ظاهريًا الذي انعكس بدوره على المضامين الداخلية لها، فأدت المقارنة دورًا بارزًا في اتساق النصوص وترابط أجزائها.
- **وخلاصة القول** إن الإحالة بوسائلها المختلفة (الإحالة بالضمائر- الإحالة بأسماء الإشارة- الإحالة بالأسماء الموصولة- الإحالة بأدوات المقارنة) لها القدرة على الربط بين السياقات المختلفة، وبالتالي تحقيق التماسك النصي، وبناء شبكة من العلاقات التي تشكل وتكون بنية نصية لها خصائصها الأسلوبية والإبداعية المميزة التي عكست قدرة الكاتب على صياغة نصوص متسقة ومحكمة.

قائمة المصدر والمراجع:

المصدر:

حسين، طه (2014م)، بين بين، مؤسسة هنداوي.

المراجع العربية والمترجمة:

بحيري، سعيد، (2005م)، *دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة*، ط1، القاهرة- مصر، مكتبة الآداب.

براون و يول، (1997م)، *تحليل الخطاب*، *ترجمة* (محمد لطفي الزليطني ، منير التريكي)، الرياض- السعودية، جامعة الملك سعود.

حسان، تمام (2007م)، *اجتهادات لغوية*، ط1، القاهرة- مصر، عالم الكتب.

حسن، عباس، *النحو الوافي*، ط 15، القاهرة- مصر، دار المعارف.

خطابي، محمد، (1999م)، *لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)*، ط1، بيروت- لبنان، المركز الثقافي العربي.

دي بوجراند، روبرت، (1998م)، *النص والخطاب والإجراء*، ط1، ترجمة (تمام حسان)، القاهرة- مصر، عالم الكتب.

الراجحي، عبده، (1999م)، *التطبيق النحوي*، ط1، الإسكندرية- مصر، مكتبة المعارف.

الزناد، الأزهر، (1993م)، *نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا)*، ط1، بيروت- لبنان، المركز الثقافي العربي.

ابن السراج، أبو بكر محمد النحوي البغدادي، (1996م)، *الأصول في النحو*، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط3، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، (1987م)، *مفتاح العلوم*، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

سكوت، حمدي و جونز، مارسدن، (1982م)، *أعلام الأدب المعاصر في مصر سلسلة بيوجرافية نقدية، طه حسين*، القاهرة- مصر، مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية، دار الكتاب المصري.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، (1988م)، *الكتاب*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة- مصر، مكتبة الخانجي.

عفيفي، أحمد، (2005م)، *الإحالة في نحو النص، (دراسة في الدلالة والوظيفة)*، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، القاهرة- مصر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمذاني المصري، (1980م)، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، القاهرة- مصر، دار التراث.

ابن هشام، أبو محمد عبد لله بن يوسف بن أحمد، (1994م)، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت- لبنان، المكتبة العصرية.

ابن هشام، أبو محمد عبد لله بن يوسف بن أحمد، (2004م)، *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة- مصر، دار الطلائع.

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن يعش موفق الدين الأسدي الموصلي، (2001م)، *شرح المفصل للزمخشري*، تقديم: إميل يعقوب، ط1، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

يونس، محمد محمد، (2004م)، *الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه*، مجلة الدراسات اللغوية، ج6، ع1، الصفحات 158- 202.

يونس، محمد محمد، (2013م)، *قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب*، بنغازي- ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة.

English References:

Halliday, Michael A. K., & Hasan, Ruqaiya (1976), *Cohesion in English*, London, Longman.